



الإعمار السياحي

بنت الحضارات المتعاقبة عبر التاريخ مواقع ظلت شامخة عبر آلاف السنين. من قلاع وصوامع وكنائس ومساجد وغيرها ما يتمشى مع اعتقاداتها وتصوراتها عن نفسها وعن العالم. وتلبية لما جاءت به معتقداتها وافتخارا بإنجازاتها وانتصاراتها

عندما بدأت زيارتي الصناعية إلى أوروبا في أواسط الخمسينات انخرطت في سفرات سياحية أجتول في مدنها وكنائسها ومواقعها الأثرية من غير أن أخطئ لذلك حيث زرت العديد من الكنائس ومنها الفاتيكان ودومو ميلانو وصعدت على سطوحها واطلعت على تماثيلها العملاقة. بالإضافة إلى اطلاعي من الأعلى على مدنها. وزرت كذلك سانت بول بلندن ودوم كولون في ألمانيا وغيرها من الكنائس والمقابر مثل مقبرة روما العميقة تحت الأرض ومقبرة نورمندي التي دفن فيها الجنود الذين قتلوا في معركة خربير فرنسا. وهكذا استغلت أوروبا كل معلمة من معالمها لأجل السياحة بغض النظر عن أصولها وانتماءاتها حتى وصلت إلى زيارة الورش الصناعية وفتحت أبواب القصور الملكية لاستقطاب الزوار.

ولم تكتفي أوروبا بما لديها من آثار سياحية فأخذت تعد الدراسات والخطط لإقامة مشاريع جبارة مخصصة لاستقطاب السياح من الداخل والخارج لا يسع المجال لإدراجها وأكتفي بذكر واحدة منها وهي ما قامت به بلدية لندن من إنشاء ما يسمى بعين لندن. وهذه العين عبارة عن دولا ب هواء كبير تدور فيه غرف زجاجية مقللة أو يمكن تسميتها (دواليب أو عربات) تدور معلقة في الفضاء لتمكن السائح من مشاهدة كل أطراف مدينة لندن من الأعلى. وهذه المعلمة

لم تكن السياحة بمفهومها الحضاري اليوم من جملة الأسباب التي خططت لأجلها هذه المباني في الأزمان الغابرة. وإنما مفهوم السياحة هو مفهوم جديد. وأستطيع أن أجزم بأن برج إيفل الذي يعتبر رمزاً شامخاً لفرنسا لم يكن تصميمه على اعتبارات سياحية. بل ربما كان نصبه لأمور فلكية أو بث إذاعي أو لمصلحة جمالية أخرى تزيد معالم باريس رونقا وجاذبية. وهكذا جميع ما أنشئ من معالم في دول العالم قبل الحرب العالمية الثانية لم يكن لحسابات سياحية. أي أن الهدف منه لم يكن استقطاب السياح من أنحاء العمورة بل كان لطموحات وطنية وقومية وغير ذلك. والدليل على ذلك أنه لو كانت المباني والمعالم المدنية التي زينت الكثير من المدن الأوروبية لغرض استقطاب السياح. لما اشتعلت الحرب العالمية الثانية وخربت المدن وساكنيها وسياحتها.

بعد ما نفضت أوروبا غبار حربها وخرجت دولها من قوقعة العزلة حتى ما بين جيرانها. بدأت حركة السفر تدب وبدأت مفاهيم السياحة تبرز وتتطور واقعياً واقتصادياً وعلمياً. ومن هذا المنطلق بدأت المؤسسات السياحية والدول وحتى الشعوب تتحسس أهمية هذه المنطلقات الحضارية والاقتصادية الجديدة. فأخذت تهتم بما خلفت أجيالها من مواقع وآثار وكنائس وإبراز ونشر الثقافة السياحية ما بين شعوبها وزوار دولها.



بعد ما نفضت أوروبا غبار حربها وخرجت دولها من قوقعة العزلة حتى ما بين جيرانها، بدأت حركة السفر تدب وبدأت مفاهيم السياحة تبرز وتتطور واقعياً واقتصادياً وعلمياً. ومن هذا المنطلق بدأت المؤسسات السياحية والدول وحتى الشعوب تتحسس أهمية هذه المنطلقات الحضارية والاقتصادية الجديدة، فأخذت تهتم بما خلفت أجيالها من مواقع وآثار وكنائس وإبراز ونشر الثقافة السياحية ما بين شعوبها وزوار دولها.

بينه وأصحابه البررة حيث إن إعمار مقابرهم إعمار للتراث الإسلامي وقيمه الإيمان التوحيدية ناهيك عن المردود الاقتصادي الذي يأتي من أعداد الزوار الآتين من بقاع العالم ويعدون بالملايين. وهذه إيران التي أخذت تخص السياحة الدينية باستثماراتها ولديها اهتمام كبير بالمرارات والمواقع الدينية الأخرى. وزيارة واحدة إلى مدينة مشهد وما وصلت إليه من توسع وعمران وإقبال متزايد من الزوار فهي دليل قاطع بأن الاستثمار في هذه الحقول له خير مردود إن كان على المستوى الاقتصادي أو على صعيد رفع القيم الإنسانية الخيرة لدى المجتمعات المقيمة والزائرة.

ماذا عن العراق ؟

لو نجى الله العراق من هذه الفتنة البغيضة وحل السلام في ربوعه لأصبح قبلة السياحة في العالم. وبعد إعمار البنية التحتية في كافة مدنه وسد حاجات الناس الضرورية لا بد من أن تتوجه الاستثمارات الكبيرة إلى متطلبات الثورة السياحية وذلك بإعمار الأضرحة والمزارات والمواقع الأثرية والمدن ووسائل السفر والتنقل وبناء أضخم الفنادق والمطاعم استعداداً لاستقبال ملايين الزوار أو السياح من الدول المجاورة وأركان العمورة الأخرى وبذلك ستصبح المنطقة كلها خلية نحل تعج بالسياح. أخيراً إن الاستثمار في إعمار المواقع الدينية ومتطلبات السياحة الدينية والعائلية في بلداننا أضمن وأكثر نفعاً وثواباً لديانا وآخرتنا إن شاء الله. إذا خسرت الدول العربية والإسلامية المعركة السياسية فعلينا أن نعمل لكسب المعركة السياحية وهي أم المعارك. وهذا ما كان في تصوري عندما أقدمت على إصدار مجلة "السياحة الإسلامية" وتكوين موقعها على الإنترنت اللذين أصبحا معلمة حضارية يشار إليهما بالتقدير والمدح من قبل كل من اطلع عليهما. والله ولي التوفيق... ■

السياحية وما جاورها من مطاعم وأحواض أسماك (أكواريوم) لم أشاهد من قبل مثيلاً لها من حيث الكم والأنواع والألوان والأحياء البحرية ومعارض الصور في مساحة محدودة جاور دار بلدية لندن المطلّة على نهر التيمس. فقد تجلب هذه العين ما لا يقل عن مائة ألف زائر يومياً حسب تقديري. والدخول إليها يكون بنمن ليس بالقليل. فأني موارد أعطت هذه البقعة المجاورة لدار البلدية ؟ هذا هو الحال في الغرب. فلعل أبرز ما أنتجته السياحة والسفر في أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية، هو وحدتها وتوحيد عملتها. فما هي مقومات السياحة لدينا وما أهمية مقومات إعمارها ضمن خصوصياتنا الحضارية والدينية والتراثية؟

لو ألقينا نظرة سريعة على كيفية نشأة معظم مدننا ذات المعالم البارزة في يومنا هذا لوجدنا أن معظمها بدأت تنهض نتيجة لاحتضان أرضها جسد إمام أو صحابي أو ولي من أولياء الله حيث يقصدهم الزوار من كل حذب وصوب لزيارتهم والتبرك بهم والإقامة حول أضرحتهم. وبذخ سلاطينها وقادتها وميسوريتها الأموال في إعمارها وإعمار مقاماتها ومساجدها وغيرها من المرافق الأخرى، مثل المدارس الدينية. تلبية إيمانهم بأهل بيت النبوة والصحابة والأولياء الصالحين عند الله. وكمثال على ذلك النجف وكربلاء والكاظمية والسيدة زينب في دمشق والقاهرة، والمقامات الأخرى وغيرها من المدن. ولا تزال هذه الحركة المتصاعدة من الزوار أو ما نسميها اليوم بـ"السياحة الدينية" في تصاعد مستمر.

من هذا المنطلق أخذت المملكة العربية السعودية توسع المواقع المحيطة بالكعبة المشرفة والمسجد النبوي الشريف. كما إنها اهتمت بكل متطلبات الحج والعمرة التي جعلتها على مدار السنة، وأولت هذا القطاع الاقتصادي الهام كل اهتمامها والكثير من استثماراتها ولا يزال المزيد من كنوز مواقع التراث الإسلامي منذ ظهوره تخضنها تلك الأرض المباركة. وهي تهتم كل مسلم. وهذه المواقع تحوي جوانب من حياة الرسول الأعظم (ص) ما بين أهل